

مدرسة الحديث في الشام

الدكتور

زياد محمود رشيد العاني

كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

التهيد

هذا البحث يتناول مدرسة الحديث بالشام، ويعرض لبعض خصائصها التي تميزت بها، مع ذكر بعض أعلامها من الصحابة رضي الله عنهم، ولبعض التابعين رحمهم الله رضي الله عنهم، على طريق الاختصار الشديد، راجياً أن يكون بحثاً مفيداً في التعريف بهذه المدرسة التي كانت لها القدم الراسخة في علم الحديث.

الفصل الأول: نظرة عامة إلى بلاد الشام

المبحث الأول: في التعريف بالشام جغرافياً

قال ياقوت الحموي: الشام: بفتح أوله وسكون همزته، والشام: بفتح همزته مثل نهر ونهر لغتان، ولا تمد، وفيها لغة ثالثة: وهي الشام بغير همز، كذا يزعم اللغويون^(١)،

وقد تذكر وتوث ورجل شامي وشام ههنا بالمد على فعال وشامي أيضا حكاه سيبويه ولا يقال شام لأن الألف عوض من ياء النسبة فإذا زال الألف عادت الياء وما جاء من ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد وامرأة شامية بالتشديد وشامية بتحفيف الياء وتشأم الرجل بتشديد الهمزة نسبة إلى الشام كما تقول تقيس وتكوف وتنزر إذا انتسب إلى قيس والكوفة ونزار وأشأم إذا أتى الشام.

وقال أبو بكر الأنباري في اشتقاقه وجهان يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشؤمي وهي اليسرى ويجوز أن يكون فعلى من الشوم.... قال جماعة من أهل اللغة: يجوز أن لا يهمز فيقال الشام يا هذا فيكون جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات.

وقال أهل الأثر سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتناءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلك

(١) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣١١.

وقال آخرون من أهل الأثر منهم الشرقي سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام وذلك أنه أول من نزلها فجعلت السين شينا لتغير اللفظ العجمي^(١).

وكان اسم الشام الأول سورى فاختصرت العرب من شامين الشام وغلب على الصقع كله وهذا مثل فلسطين وقنسرين ونصيبين وحوارين وهو كثير في نواحي الشام وقيل سميت بذلك لأنها شامة القبلة قلت وهذا قول فاسد لأن القبلة لا شامة لها ولا يمين لأنها مقصد من كل وجه يمنة لقوم وشامة لآخرين ولكن الأقوال المتقدمة حسنة جميعها.

وأما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد.

وبها من أمهات المدن منبج وحلب وحمّاة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك.

وهي خمسة أجناد جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص وقد ذكرت في أجناد ويعد في الشام أيضا الثغور وهي المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس والبلقاء وغير ذلك وطولها من الفرات إلى العريش نحو شهر وعرضها نحو عشرين يوما وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قُسِمَ الخَيْرُ عشرة أعشار فجعل تسعة أعشار في الشام وعشر في سائر الأرض وقسم الشر عشرة أعشار فجعل عشر بالشام وتسعة أعشار في سائر الأرض.

(١) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣١٢

وقال محمد بن عمر بن يزيد الصاغاني إني لأجد تردد الشام في الكتب حتى كأنها ليس لله تعالى بشيء في الأرض حاجة إلا بالشام، وروي عن النبي ﷺ أنه قال الشام صفوة الله من بلاده وإليه يجتبي صفوته من عباده يا أهل اليمن عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام ألا من أبي فإن الله تعالى قد تكفل لي بالشام^(١)

وفي الحديث عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند رسول الله ﷺ فشكوا إليه الفقر والعري وقلة الشيء فقال رسول الله ﷺ أبشروا فوالله لأنا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلته والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها، قال ابن حوالة فقلت يا رسول الله من يستطيع الشام وفيه الروم ذات القرون فقال ﷺ والله ليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة منهم البيض قمصهم المحلوقة أبقاؤهم قياما على الرجل الأسود ما أمرهم به فعلوا وإن بها اليوم رجالا لأنتم اليوم أحقر في أعينهم من القردان في أعجاز الإبل قال ابن حوالة قلت اختر لي يا رسول الله إن أدركني ذلك فقال اختر لك الشام فإنها صفوة الله من بلاده وإليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الإسلام فعليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام فمن أبي فليلحق يمينه وليسق بعذره فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله^(٢).

وقال أحمد بن محمد بن المدبر الكاتب في تفضيل الشام:

أحب الشام في يسر وعسر وأبغض ما حيت بلاد مصر

(١) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣١٣

(٢) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣١٤

وما شأنا الشام سوى فريق
 لأضغان تغين على رجال
 وكم بالشام من شرف وفضل
 بلاد بآرك الرحمن فيها-
 بها غرر القبائل من معد
 أناس يكرمون الجار حتى
 برأي ضلالة وردى ومحـر
 أذلوا يوم صفين بمكر
 ومرتقب لدى بر وبحر
 فقدسها على علم وخبر
 وقحطان ومن سروات فـهر
 يجير عليهم من كل وتر

وقال البحتري يفضل الشام على العراق

نصب إلى أرض العراق وحسنه
 هي الأرض نهواها إذا طاب
 عشيقتنا الأولى وختنا التي نحب
 عنيت بشرق الأرض قدما وغربها
 فلم أر مثل الشام دار إقامة
 مصحة أبدان ونزهة أعين
 مقدسة جاد الربيع بلادها
 تباشر قطراها وأضعف حسنـها
 وينع عنها قيظها وحرورها
 ونهرب منها حين يحمى هجيرها
 وإن أضحت دمشق تغيـرها
 أجوب في آفاقها وأسـيرها
 لراح أغاديتها وكأس أديرها
 ولهو نفوس دائم وسرورها
 ففي كل أرض روضة وغديرها
 بأن أمير المؤمنين يزورها^(١)

(١) معجم البلدان ج: ٣ ص: ٣١٥

المبحث الثاني: الشام في مؤلفات العلماء

ما ألف عن الشام من مؤلفات: قال: حاجي خليفة في كشف الظنون^(١):

تواريخ الشام: منها: تواريخ دمشق لأن الشام يعمها وغيرها ومنها الأعلام الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة لابن شداد...، والدرة الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة...، والبرق الشامي للعماد الكاتب...، وتحفة الأنام في فضائل الشام، قال عنه: لشمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد البصراوي المعروف بابن الإمام ألفها سنة ثلاث وألف وهي مختصره على ستة أبواب أولها الحمد لله الأول بلا بداية... الخ^(٢)، ونزهة الأنام في فضائل الشام، ونشر الخزام في فضائل الشام، سلك النظام في تاريخ الشام وتبنيه الطالب، وفضائل الشام: لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي المالكي أتمه بدمشق في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، واختصره الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وسماه الإعلام^(٣)، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام: للشيخ شهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد المقدسي الشافعي فرغ منه في شعبان سنة سبع اثنتين، وخمسين وسبعمائة مشى فيه على المنهج الأقوم وتوفى سنة خمس وستين وسبعمائة أوله: الحمد لله الذي زاد مسجدنا الأقصى شرفا الخ جعله على قسمين الأول في فضائل الشام وبيان حدوده وفيه أبواب وفصول والثاني في فضائل المسجد الأقصى ويشتمل أيضا على أبواب وفصول^(٤).

(١) كشف الظنون ج: ١ ص: ٢٩٦

(٢) المصدر نفسه ج: ١ ص: ٣٦٣

(٣) المصدر نفسه ج: ٢ ص: ١٢٧٥

(٤) المصدر نفسه ج: ٢ ص: ١٥٨٩

المبحث الثالث: من نزل من الصحابة الشام

نزل كثير من الصحابة بلاد الشام، وعد ابن سعد في طبقاته كثير منهم، فنذكر منهم مثلاً:

أبو عبيدة بن الجراح وبلال بن رباح وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وسعد بن عبادة وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنّة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم والفضل بن العباس بن عبد المطلب بالأردن وأبو مالك الأشعري وعوف بن مالك الأشجعي وثوبان وشداد بن أوس وفضالة بن عبيد وعمرو بن عبسة والحارث بن هشام ومعاوية بن أبي سفيان ووائلة بن الأسقع وبسر بن أبي أرطاة وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وقبات بن أشيم والعرباض بن سارية وعبد الله بن بسر المازني وعتبة بن عبد السلمي وعبد الله بن حوالة وكعب بن مرة وكعب بن عياض والمقدام بن معدى كرب وأبو هند الداري وسلمة بن نفيل وغطيف بن الحارث وعطية بن عمرو السعدي وفروة بن عمرو الجذامي، وغيرهم^(١).

قال الحاكم النيسابوري: "من نزل الشام من الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح وبلال بن رباح وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وسعد بن عبادة وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم والفضل بن العباس بن عبد المطلب بالأردن وأبو مالك الأشعري وعوف بن مالك الأشجعي وثوبان وشداد بن أوس وفضالة بن عبيد وعمرو بن عبسة والحارث بن هشام ومعاوية بن أبي سفيان ووائلة بن الأسقع وبسر بن أبي أرطاة وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وقبات بن أشيم والعرباض بن سارية وعبد الله بن بسر المازني وعتبة بن عبد السلمي وعبد

(١) الطبقات لابن سعد: ٣٨٤/٧.

الله بن حوالة وكعب بن مرة وكعب بن عياض والمقدام بن معدى كرب وأبو هند الداري وسلمة بن نفيل وغطيف بن الحارث وعطية بن عمرو السعدي وفروة بن عمرو الجذامي ومن نزل الجزيرة من الصحابة عدي بن عميرة الكندي ووابصة بن معبد الأسدي والوليد بن عقبة بن أبي معيط^(١).

ونحن نترجم لثلاثة منهم فقط على سبيل الاختصار، ولأنهم توجهوا إلى مختلف أنشطة الحياة، مع اهتمامهم بنقل حديث رسول الله ﷺ إلى الناس:

(١) معاذ بن جبل:

هو معاذ بن جبل^(٢) بن عمرو بن أوس^(٣) بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو^(٤) ابن أدد^(٥) ابن سعد بن علي بن أسد بن أساردة بن يزيد بن

(١) معرفة علوم الحديث: ص: ١٩٣.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان ص ٥٠، وتهذيب الكمال: للمزي: ١١٤/٢٨، وتاريخ دمشق: لابن عساكر ٢٨/٥٨ وما بعدها، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني: ٢٤٤/١، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص ٣٥٨، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للذهبي: ٧٢/٢، والإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: ٤٢٦/٣-٤٢٧.

(٣) قال ابن ماكولا في الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى: ٤٥/١: (معاذ بن جبل بن عمر بن عوف).

(٤) وقد نسبته ابن أبي عاصم فقال: (ابن غنم بدل بن عمرو)، وتابعه على ذلك ابن قانع في معجم الصحابة عبد الباقي بن قانع أبو الحسين (٢٦٥-٣٥١هـ): ٢٤/٣، وابن مندة في معرفة أسامي أرداف النبي ﷺ: ٤٠/٢.

(٥) وقد تصحف في معجم الصحابة ٢٤/٣ إلى (أذن) بالذال والنون بدل الدال والياء، وقيدها ابن ماكولا فقال: (واما أدي بضم الهمزة وفتح الدال المهملة وتشديد الياء).

جسم بن الخزرج^(١).

ويكنى بأبي عبد الرحمن، وقد اتفقت جميع مصادر ترجمته على ذلك من غير

مخالف^(٢).

أمه: هند بنت سهل من بني رفاقة من جهينة^(٣).

زوجاته: وقد ذكر يحيى بن سعيد القطان: أن معاذ كان تحته امرأتان،

وأنهما قد توفيتا في الطاعون معه^(٤).

أولاده: زعم علي بن محمد المدائني: أن معاذ بن جبل لم يولد له قط.

وتعارض هذه المزاعم ما نقل باتفاق عن غير واحد ممن ترجم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أنه

قد ولد له، على خلاف في عدد المولودين له^(٥).

ولده: كان له ابنان أحدهما عبد الرحمن ولم يسم الآخر ولم تسم أمهما^(٦).

(١) الأنساب: للسمعاني: ٣/٣٠٣: (السلمي هذه النسبة بفتح السين وفتح اللام إلى بني سلمة حي من

الأنصار، خرج منها جماعة، وهم سلميون، وهذه النسبة وردت خلاف القياس كما في سفرة

وسفري، وكما في ثمرة وتمرّي، وهذه النسبة عند النحويين وأصحاب الحديث يكسرون اللام على غير

قياس النحويين، وهو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن حشم بن الخزرج.

(٢) ينظر: التاريخ الكبير ٧/٣٥٩، والجرح والتعديل ٨/٢٤٤، وابن حبان، المشاهير ص ٥٠، والباجي،

الجرح والتعديل ٢/٧١٠.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ١/٣٨٤ و٣٨٧، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٣/٥٧١، وفتح الباري شرح

صحيح البخاري: لابن حجر ٣/١٧٧، الإصابة ٨/١٥٤.

(٤) ينظر: صفوة الصفوة: لابن الجوزي ١/٤٩٢.

(٥) ينظر حلية الأولياء ١/٣٨٨، والسير ١/٤٥٧.

(٦) الطبقات الكبرى ج: ٣ ص: ٥٨٣.

ابنته: أم عبد الله وهي من المبايعات وأمها أم عمرو بنت خالد بن عمرو بن عدي بن سنان بن نابیء بن عمرو بن سواد من بني سلمة^(١).

أختها: الصعبة بنت جبل، وأمها هند بنت سهل من جهينة، ثم من بني الوغفة، وهي أخت معاذ بن جبل لأبيه وأمه^(٢).

أخوه لأمه: عبد الله بن الجدد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد وأمها هند بنت سهل من جهينة ثم من بني الربعة، أخو معاذ بن جبل لأمه، شهد عبد الله بدرًا وأحدًا، وليس لعبد الله بن الجدد عقب والعقب لأخيه محمد بن الجدد بن قيس^(٣).

ابنة عمته: أسماء بنت زيد بن السكن الأنصارية أحد نساء بني عبد الأشهل هي من المبايعات وهي ابنة عمه معاذ بن جبل تكنى أم سلمة وقيل أم عامر مدنية كانت من ذوات العقل والدين^(٤).

وكان رضي الله عنه من نجباء الصحابة، وفقهائهم، وأبائهم رضي الله عنهم، قال محمد بن سعد: كان معاذ بن جبل رجلاً طويلاً، أبيض، حسن الثغر، عظيم العينين، مجموع

(١) المصدر السابق: وينظر: ج: ٣ ص: ٥٨٣، ذكر أبو نعيم الأصبهاني: ان له ابنتان وولد اسمه عبد الرحمن كلهم ماتوا في طاعون عمواس في الشام. وقد ذكر أن ابنتاه قد دفنتا في قبر واحد، حلية الأولياء ٣٨٨/١.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤١١/٨.

(٣) الطبقات الكبرى ج: ٣ ص: ٥٧١.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ج: ٤ ص: ١٧٨٧-١٧٨٨ برقم ٣٢٣٣.

الحاجيين، جعد، ققط^(١).

وعن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه قال: كان معاذ شاباً سمحاً، جميلاً، من أفضل شباب قومه^(٢).

وقال عبد الصمد بن سعيد، فكان طويلاً حسناً جميلاً^(٣).

وعن الواقدي عن أشياخ له، قالوا: كان معاذ رجلاً طويلاً، أبيض، حسن الشعر، عظيم العينين، مجموع الحاجيين، جعد، ققط^(٤).

عن أبي مسلم الخولاني قال: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا^(٥)، وقال في رواية أخرى "وفي الحلقة فتى شاب شديد الأدمة حلو المنطق، وضيء وهو أشب القوم سنناً"^(٦).

هو من الأنصار شهد بيعة العقبة، وهو ابن ثمان عشرة سنة أو دونها^(٧).

وقال الذهبي^(٨): ((أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، المدني، البدري،

(١) تذكرة الحفاظ الذهبي ٢٢/١. والققط: الشديد الجعودة، وقيل: الحسن الجعودة، والأول أكثر.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير الجزري ٨١/٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سير أعلام النبلاء الذهبي ٤٦١/١.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٤٠٧.

(٥) حلية الأولياء ٢٢٩/١، وتاريخ دمشق ٤٢٥/٥٨.

(٦) حلية الأولياء ٢٣٠/١.

(٧) حلية الأولياء ٣٩٢/١، تذكرة الحفاظ: للذهبي: ٢٢/١.

(٨) سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١. وهي العقبة الثانية.

شهد العقبة شاباً أمرداً)).

وهذا يعني انه كان دون الثماني عشر سنة.

وقال المزني: ((وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وأخى ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، قال الواقدي: هذا ما لا اختلاف^(١) فيه عندنا))^(٢).

وقد ذكر ابن هشام في السيرة^(٣) شيئاً عن بداية إسلامه فقال: ((فلما قدموا المدينة أهل بيعة العقبة الثانية وأظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب غنم بن كعب سلمة، ابنه معاذ بن عمرو.

أسلم معاذ وهو ابن ثمان عشرة سنة، وشهد بدرأ، والعقبة، والمشاهد^(٤).
لقد كان معاذ رجلاً حليماً، كريماً، صادقاً، مطيعاً، لا يخالف أحداً هو أصوب بالرأي منه، (عن أبي وائل قال: لما قبض النبي ﷺ واستخلفوا وكان رسول الله ﷺ قد بعث معاذ إلى اليمن فاستعمل أبو بكر عمر على الموسم فلقي معاذ بمكة

(١) ذكر الحافظ المزني الخلاف، فقال: (وقال ابن إسحاق أخى رسول الله ﷺ بين معاذ بن جبل، وجعفر بن أبي طالب)، تهذيب الكمال ١٠٦/٢٨ وهذا وهم، وكيف يكون هذا وإنما كان المؤاخاة بينهم بعد قدوم رسول الله ﷺ للمدينة وقبل يوم بدر، فلما كان يوم بدر، ونزلت آية الميراث قطعت المؤاخاة، وجعفر بن أبي طالب قد هاجر قبل ذلك من مكة إلى الحبشة، فهو حين أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه في أرض الحبشة، وقدم بعد ذلك بسبع سنين) هذا وهم من محمد بن إسحاق. وينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٨٤/٣.

(٢) تهذيب الكمال ١٠٦/٢٨.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام: ٣٠٠/٢-٣٠١.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٦٩/١٠.

ومعه رقيق فقال: هؤلاء اهدوا إلي وهؤلاء لأبي بكر، وقال عمر: إني أرى لك أن تأتي أبا بكر، فلقيه من الغد، فقال: يا ابن الخطاب قد رأيتني، قال: فأتي بهم أبا بكر. فقال: هؤلاء أهدوا إلي وهؤلاء لك، قال: فإننا قد سلمنا لك هديتك، فخرج معاذ إلى الصلاة وهم يصلون خلفه، فقال: لمن تصلون هذه الصلاة، قالوا: لله ﷻ، قال: فأنتم لله، فأعتقهم^(١).

وهكذا نجد تلك الأخلاق من معاذ بن جبل، ولقد كان ﷺ وأرضاه رجلاً عادلاً؛ كانت عنده امرأتان فإذا كان في بيت إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى. إن معاذ بن جبل الخزرجي ﷺ من نجباء الصحابة قال أنس: جمع معاذ القرآن في حياة رسول الله ﷺ.

وقال ابن مسعود كنا نشبهه بإبراهيم الخليل، كان أمة قانتاً لله حنيفاً، توفي بالطاعون، سنة ١٨ بالأردن عن ثمان وثلاثين سنة^(٢).

وكانت له أخلاق رفيعة مع أصحابه، (عن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال لنا: اجلسوا بنا نؤمن ساعة)^(٣).

قال معاذ ﷺ (إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك ﷻ عند ذلك رغبات)^(٤).

(١) ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٣٢/١.

(٢) الذهبي، الكاشف ٢٧٢/٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق ٢٣٤/١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣٦/١.

وكان رجلاً مبغضاً للضحك المفرط من غير سبب، والأكل المفرط، والنوم المفرط (قال معاذ بن جبل: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت، الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع)^(١).

وكانت أخلاقه مع النبي ﷺ نموذجاً رائعاً للأخلاق (قال: كنت رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: ثم سار ساعة فقال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك، هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم)^(٢).

عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، وأسمحهم كفافاً، دان ديناً كثيراً فلزمه غرمائه حتى تغيب عنهم أياماً في بيته حتى استعدى رسول الله ﷺ غرمائه فأرسل رسول الله ﷺ إلى معاذ يدعوه، فجاء يدعوه ومعه غرمائه، وقالوا يا رسول الله خذ لنا حقنا منه، فقال رسول الله ﷺ رحم الله من تصدق عليه؛ فتصدق عليه الناس، وأبى آخرون، وقالوا: يا رسول الله خذ لنا حقنا منه، قال رسول الله ﷺ أصبر لهم يا معاذ، قال: فخلعه رسول الله ﷺ من ماله فدفعه إلى غرمائه فاققسموه

(١) المصدر نفسه ٢٣٦/١.

(٢) ابن عساکر تاریخ دمشق ٤٤٢/٥٨، ومسنند أبي عوانة: ١٧/١.

بينهم فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم قالوا: يا رسول الله بعه لنا قال رسول الله ﷺ خلوا عليه فليس لكم عليه سبيل، فانصرف معاذ إلى بني سلمة، فقال له قائل: يا أبا عبد الرحمن لو سألت رسول الله ﷺ فقد أصبحت اليوم معدماً؟ فقال: ما كنت لأسأله، قال: فمكث أياماً ثم دعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى اليمن وقال: لعل الله أن يجبرك ويؤدي عنك دينك، قال: فخرج معاذ إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي رسول الله ﷺ ووافى السنة التي حج بها عمر بن الخطاب ﷺ مكة فاستعمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على الحج فالتقى يوم التروية بها فاعتنقا، وعزى كل واحد منهما صاحبه رسول الله ﷺ ثم أخلدا إلى الأرض يتحدثان، فرأى عمر عند معاذ غلماناً، فقال: ما هؤلاء؟ ثم ذكر الأحرار التي ذكرتها فيما تقدم^(١).

عن مالك النذاري - مولى عمر رضي الله عنه -: أن عمر بن الخطاب أخذ أربع مائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام اذهب بهم إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال وصله الله ورحمه، ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذهما.

فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل، فقال اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل وتله في البيت حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا فأطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فاعطنا!، ولم يبق في الخرق إلا ديناران، فدحا بهما

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣/٣٠٧، والطبقات الکبری لابن سعد ٣/٥٨٧.

إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره وسر بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض^(١).

قال أبو نعيم الأصبهاني: ومنهم أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل المحكم للعمل، التارك للجدل، مقدم العلماء، وإمام الحكماء، ومطعم الكرماء، القارئ القانت، الحب الثابت، السهر السري، السمح، السنخي، المولي، المؤمن، والوفي، المصون، مؤتمن على العباد والأموال، والمصون من الموانع والأحوال^(٢).

عن حميد بن هلال أن معاذ بن جبل بزق عن يمينه وهو في غير صلاة، فقال: ما فعلت هذا منذ صحبت النبي ﷺ^(٣).

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا تهجد من الليل قال (اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حيّ قيوم اللهم طلبي للجنة بطيء وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك هدىً ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)^(٤).

عن معاوية بن قرة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: (يا بني إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها)^(٥).

(١) المعجم الكبير للطبراني ج: ٢٠ ص: ٣٣ برقم ٤٦.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني ٢٨/١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٨٦/٣.

(٤) المصدر السابق: ٢٣٣/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٣٤/١.

عن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعون، فقال: (إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى تنتظمه لك انتظمه لك انتظاماً، فتزول به معك أينما زلت) (١).

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (سبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصرُوا قالوا سنبغ وأن أساءوا قالوا سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئاً) (٢).

عن زيد بن اسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: (يبكيني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله المحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأحنفاء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن يحضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصايح الهدى، يخرجون من كل غيراء مظلمة) (٣).

عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: (أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله إني لأطمع أن يكون عامة من تصيبون بفارس والروم في الجنة، وإن

(١) المصدر نفسه: ٢٣٤/١.

(٢) سنن الدارمي: ٥٣١/٢.

(٣) المستدرک على الصحيحين: ٤٤/١ وقال: هذا حديث صحيح.

أحدهم يعمل الخير فيقول أحسنت، بارك الله فيك أحسنت، رحمك الله، والله يقول ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) ^(٢).

عن عطاء بن يسار: أن معاذ بن جبل قام في الجيش الذي كان عليه حين وقع الوباء فقال: (يا أيها الناس هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ووفاة الصالحين قبلكم) ثم قال معاذ وهو يخطب: (اللهم أدخل على آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة).

فبينا هو كذلك إذ قيل: طعن ابنك عبد الرحمن.

فلما أن رأى أباه معاذاً قال: عبد الرحمن يا أبت ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

تَكُنْ مِنَ الْمُمَرِّينَ﴾^(٣).

قال: يقول معاذ: ﴿سَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤)،

فمات من الجمعة إلى الجمعة آل معاذ كلهم ثم كان هو آخرهم^(٥).

لم تذكر مصادر ترجمته التي بين أيدينا شيئاً عن مولده،

(١) سورة الشورى: من الآية ٢٦.

(٢) المستدرک على الصحيحین: ٤٨٢/٢، وقال: هذا حديث صحيح.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٠.

(٤) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٥) المستدرک على الصحيحین: ٣٠٤/٣.

ولكن ذكروا أن وفاته كانت سنة (١٧)^(١) هـ، وقيل (١٨)^(٢) هـ، وقيل ١٩ هـ^(٣) في الأردن، وقبره بغور بيسان^(٤) فرش قبة ومات بمرض الطاعون، وهو طاعون عمواس^(٥)، وكان ذلك سنة فتح بيت المقدس.

قيل مات معاذ بن جبل سنة سبع عشر فتح بيت المقدس^(٦).

وقيل توفي معاذ بن جبل في طاعون عمواس سنة سبع عشرة، أو ثمان عشرة^(٧).

نقل الحاكم: عن يحيى بن سعيد قال: ((قبض معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة)).

(١) عن عبد الأعلى بن مسهر قال: ((مات معاذ بن جبل سنة سبع عشرة فتح بيت المقدس)) نقله عنه ابن حجر في التهذيب ١٦٩/١٠، وينظر: التعديل والتجريح لدحي ٧١٠/٢. وشك يحيى بن معين وعلي بن المديني هل مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة. ينظر: تهذيب الكمال للمزي ١١٣/٢٨.

(٢) وهو الذي عليه الأكثر، وذهب إلى ذلك ابن أبي حاتم كمد في الجرح والتعديل ٤٤/٨، وابن حبان في مشاهير الأمصار ص ٥٠، والباقي في التعديل والتجريح ٧١٠ ٢، وابن حجر في الإصابة ٤٢٦/٣ - ٤٢٧.

(٣) قال ذلك أبو الحسن المدائني . ينظر: تهذيب الكمال للمزي ١١١/٢٨.

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (٦٢٦ هـ) دار الفكر بيروت: ٢١٧/٤: ((والغور غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق، وأرض بيت المقدس، ولذلك سمي الغور، طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم، فيه نهر الأردن، وبلاد وقرى كثيرة، وعلى طرفه طرية وبحيرتها، ومنها مأخذ مياهها، واشهر بلادها بعد طرية، وهو وخم شديد الحر غير طيب الماء وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر...)).

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ١٥٧/٤: (عمواس، رواه الترمذي بكسر أوله وسكون الثاني، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس...).

(٦) التاريخ الصغير ٤٩/١.

(٧) المعجم الكبير: للطبراني: ٣٠/٢٠.

قال الحاكم: هذا القول من يحيى بن سعيد أقرب إلى الصحة من الذي

تقدم^(١).

وروى ابن سعد بسنده عن الحارث بن عميرة الزبيدي قال: ((إني لجالس

عند معاذ بن جبل وهو يموت، فهو يغمى عليه مرة، ويفيق مرة، فسمعتة يقول عند

إفاقته: أحنق خنقك، فَوَعَزَّتْكَ إني لأحبك))^(٢).

روى معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٢) حديثاً في الكتب الستة.

(٢) أبو ذر الغفاري:

الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه

جندب بن جنادة : بن سكن وقيل بن عبد الله وقيل اسمه بربر وقيل بالتصغير

والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن قيل يزيد وعرفة وقيل اسمه هو السكن بن

جنادة بن قيس بن بن عمرو بن مليل بلامين مصغرا بن صغير بمهملتين مصغرا بن

حرام بمهملتين بن غفار وقيل اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار واسم أمه

رملة بنت الوقعة غفارية أيضا ويقال إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه وقع في رواية

لابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر يا جنيدب بالتصغير^(٣)،

وهذا الاختلاف في اسمه واسم أبيه أسنده كله ابن عساكر إلى قائله^(٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین: للحاکم النیسابوری: ٣/٣٠٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ١/٥٨٩، وسیر أعلام النبلاء: للذهبي: ١/٤٥٨.

(٣) الإصابة ج: ٧ ص: ١٢٥ رقم ٩٨٦٨.

(٤) الإصابة ج: ٧ ص: ١٢٦.

وكان من السابقين إلى الإسلام وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر فعند البخاري من طريق أبي حمزة عن ابن عباس قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخير من السماء وسمع من قوله ثم اتتني فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيتني يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطج فرآه علي فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه فقال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني فعلت ففعل فأخبره فقال إنه حق وإنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه وسمع من قوله فأسلم مكانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم

ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لملئها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه^(١).

وعند مسلم من طريق عبد الله بن الصامت عن أبي ذر في قصة إسلامه وفي أوله صليت قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم حيث وجهني الله وكنا نزلا مع أمنا على خال لنا فأتاه رجل فقال له إن أنيسا يخلفك في أهلك فبلغ أخي فقال والله لا أساكنك فارتحلنا فانطلق أخي فأتى مكة ثم قال لي أتيت مكة فرأيت رجلا يسميه الناس الصابىء هو أشبه الناس بك قال فأتيت مكة فرأيت رجلا فقلت أين الصابىء فرفع صوته علي فقال صابىء صابىء فرماني الناس حتى كأني نصب أحمر فاخترأت بين الكعبة وبين أستارها ولبت فيها بين خمس عشرة من يوم وليلة ما لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم قال ولقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد دخلا المسجد فوالله إني لأول الناس حياه بتحية الإسلام فقلت السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله من أنت فقلت رجل من بني غفار فقال صاحبه ائذن لي يا رسول الله في ضيافته الليلة فانطلق بي إلى دار في أسفل مكة فقبض لي قبضات من زبيب قال فقدمت على أخي فأخبرته أي أسلمت قال فإني على دينك فانطلقنا إلى أمنا فقالت فإني على دينكما قال وأتيت قومي فدعوتهم فتبعني بعضهم.

ويقال إن إسلامه كان بعد أربعة وانصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومضت بدر وأحد ولم تنتهياً له الهجرة إلا بعد ذلك^(١).

(١) الإصابة ج: ٧ ص: ١٢٧

وكان طويلا أسمر اللون نحيفا.

وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروف آدم عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعث - أي بصفته المعروفة بين الناس -.

وفي مسند يعقوب بن شيبه من رواية سلمة بن الأكوع أن أبا ذر كان طويلا.

وأخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدىء أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب.

وأخرج أحمد من طريق عراك بن مالك قال قال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيء غيري. رجاله ثقات إلا أن عراك بن مالك عن أبي ذر منقطع.

وقد أخرج أبو يعلى معناه من وجه آخر عن أبي ذر متصلا لكن سنده ضعيف.

قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو سمعت عراك بن مالك يقول قال أبو ذر إني لأقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيء غيري وهكذا أورده في المسند وأظنه منقطعا لأن عراكا لم يسمع من أبي ذر

روى أبو ذر عن النبي ﷺ (٢٤٢) حديثاً في الكتب الستة.

روى عنه أنس وابن عباس وأبو إدريس الخولاني وزيد بن وهب الجهني والأحنف بن قيس وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن تميم وسعيد بن المسيب وخالد بن وهبان بن خالة أبي ذر ويقال بن أهبان وقيل بن أخيه وامرأة أبي ذر وعبد الله بن الصامت وخرشة بن الحر وزيد بن ظبيان وأبو أسماء الرحبي وأبو عثمان النهدي وأبو الأسود الدؤلي والمعرور بن سويد ويزيد بن شريك وأبو مراوح الغفاري وعبد الرحمن بن أبي ليلي وعبد الرحمن بن حجيرة وعبد الرحمن بن شماسة وعطاء بن يسار وآخرون^(١).

قال أبو إسحاق السبيعي عن هانئ بن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: أبو ذر وعاء ملئ علما ثم أوكئ عليه أخرجه أبو داود بسند جيد وأخرجه أبو داود أيضا وأحمد عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر وفي الباب عن علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وجابر وأبي ذر طرفها بن عساكر في ترجمته وقال الآجري عن أبي داود لم يشهد بدرا ولكن عمر ألقه بهم وكان يوازي بن مسعود في العلم وفي السيرة النبوية لابن إسحاق بسند ضعيف عن بن مسعود قال كان لا يزال يتخلف الرجل في تبوك فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه فتلوم أبو ذر على بعيه فأبطأ عليه فأخذ متاعه على ظهره ثم خرج ماشيا فنظر ناظر من المسلمين فقال إن هذا الرجل يمشي على الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأملت القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويمشُر وحده فذكر قصة موته وفيه وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى

(١) الإصابة ج: ٧ ص: ١٢٩.

وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبد الله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به وقال المدائني إنه صلى عليه ابن مسعود بالريذة ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل^(١).

روى عن النبي ﷺ (٤٥) حديثاً في الكتب الستة.

(٢) بلال بن رباح:

مولى أبي بكر الصديق ﷺ ويكنى أبا عبد الله وكان من مولدي السراة واسم أمه جمامة وكانت أمة لبعض بني جمح أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال سابق الحبشة أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواق أخبرنا الفضل بن دكين وعبد الملك بن عمرو العقدي وأحمد بن عبد الله بن يونس قالوا أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن عمر كان يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي والفضل بن دكين قالوا حدثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال أول من أذن بلال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده قال كان بلال يحمل العترة بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد والاستسقاء قال محمد بن عمر وشهد بلال بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر فاستأذنه في الخروج إلى الشام ليرابط في سبيل الله فقال أبو بكر أنشدك الله يا بلال وحرمتي

(١) معجم الصحابة ١/١٣٥، صفوة الصفوة ١/٥٨٤، الاستيعاب ١/٢٥٢، الإصابة ٧/١٢٥

وحقي قد كبرت سني وضعفت واقترب أجلي فأقام بلال مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر ثم جاء إلى عمر فقال مثل ما قال لأبي بكر فأذن له فخرج إلى الشام فلم يزل بها حتى توفي حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال قال بلال لأبي بكر حين توفي رسول الله ﷺ إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني وإن كنت إنما اشتريتني لله فذرني . وعمل الله أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه قال توفي بلال بدمشق سنة عشرين ودفن عند باب الصغير في مقبرة دمشق وهو ابن بضع وستين سنة وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخبرنا محمد بن عمر قال سمعت شعيب بن طلحة من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقول كان بلال ترب أبي بكر قال محمد بن عمر فإن كان هذا هكذا وقد توفي أبو بكر سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة فبين هذا وبين ما روي لنا في بلال سبع سنين وشعيب بن طلحة أعلم بميلاد بلال حين يقول ترب أبي بكر فالله أعلم أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال حدثني من رأى بلالا رجلا آدم شديد الأدمة نحيفا طوالا أجنأ له شعر كثير خفيف العارضين به شمت كثير لا يغيره^(١)

(١) الطبقات الكبرى ج: ٧ ص: ٣٨٥-٣٨٦.

التابعيون

(١) مكحول الدمشقي:

أخبرنا الوليد بن مسلم قال حدثنا عبد الله بن العلاء قال سمعت مكحولا يقول كنت لعمر بن سعيد بن العاص فوهبني لرجل من هذيل بمصر فأنعم علي بها فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا وقد سمعته ثم قدمت المدينة فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا وقد سمعته ثم لقيت الشعبي فلم أر مثله أخبرنا الوليد بن مسلم قال حدثني نمير بن عقبة العبسي قال سمعت مكحولا يقول اختلفت إلى شريح ستة أشهر لم أسأله عن شيء أكتفي بما أسمع يقضي به أخبرنا الوليد بن مسلم عن سعيد وابن جابر أنهما سمعا مكحولا يقول رأيت أنس بن مالك في مسجد دمشق فقلت رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا أسلم عليه ولا أسأله فسلمت عليه وسألته عن الوضوء من حمل الجنازة أو من شهود الجنازة فقال كنا في صلاة ورجعنا إلى صلاة فما بال الوضوء فيما بين ذلك أخبرنا عمر بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز أنه رأى على مكحول خاتما من حديد قد لوى عليه فضة حتى لم يكن يرى من الحديد شيء نقشه رب باعد مكحولا من النار أخبرنا معن بن عيسى قال حدثنا عبد الله بن راشد الشامي قال رأيت مكحولا متختما في يساره أخبرنا الفضل بن دكين قال حدثنا محمد بن راشد قال كان مكحول إذا صلى يسدل عليه الطيلسان كثيرا أخبرنا عمر بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن مكحولا كان فيمن افترض في العطاء وكان يأخذه ويتقوى به على جهاد عدو الله وقال أبو اليمان بن سعيد بن عبد العزيز قال زار مكحول بن هشام فلما أقبل حملة على البريد أخبرنا محمد بن مصعب القرقيساني قال حدثنا معقل بن عبد الأعلى القرشي من بني أبي معيط قال سمعت مكحولا يقول

لرجل ما فعلت تلك الهاجة وقال غيره من أهل العلم كان مكحول من أهل كابل وكانت فيه لكنة وكان يقول بالقدر وكان ضعيفا في حديثه وروايته أخبرنا عمر بن سعيد قال مات مكحول سنة ثمانى عشرة ومائة وقال غيره مات سنة ثلاث عشرة ومائة وقال الحريش بن قاسم أخبرني خالد بن يزيد بن أبي مالك قال أردفني أبي لموت مكحول سنة اثنتى عشرة ومائة^(١).

قال الحاكم: "ومن يعدون في الموالي من التابعين وأئمة المسلمين أخبرنا أبو علي الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله البيروتي قال ثنا محمد بن أحمد بن مطر بن العلاء قال حدثني محمد بن يوسف بن بشير القرشي قال حدثني الوليد بن محمد الموقري قال سمعت محمد بن مسلم بن شهاب الزهري يقول قدمت على عبد الملك بن مروان فقال لي من أين قدمت يا زهري قلت من مكة قال فمن خلفت يسود أهلها قال قلت عطاء بن أبي رباح قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال وبم سادهم قال قلت بالديانة والرواية قال إن أهل الديانة والرواية لنبغي أن يسودوا فمن يسود أهل اليمن قال قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال وبم سادهم قال قلت بما سادهم به عطاء قال إنه لنبغي فمن يسود أهل مصر قال قلت يزيد بن أبي حبيب قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود أهل الشام قال قلت مكحول قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل قال فمن يسود أهل الجزيرة قال قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود أهل خراسان قال قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن يسود أهل

(١) الطبقات الكبرى ج: ٧ ص: ٤٥٣ وهو من الطبقة الثالثة.

البصرة قلت الحسن بن أبي الحسن قال فمن العرب أم من الموالي قال قلت من الموالي قال وليك فمن يسود أهل الكوفة قال قلت إبراهيم النخعي قال فمن العرب أم من المالي قال قلت من العرب قال ويلك يا زهري فزجت عني والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال قلت يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه من حفظه ساد ومن ضيعه سقط^(١).

(٢) أبو إدريس الخولاني:

واسمه عائذ الله بن عبد الله أخبرنا يحيى بن معين قال ولد أبو إدريس الخولاني عام حنين فقلت من أخيرك قال من حديث الشاميين مبين وكان ثقة وقد روى عنه الزهري^(٢).

(٣) خالد بن معدان الكلاعي:

وكان ثقة أخبرنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن ثور عن خالد بن معدان قال ما دابة في بر ولا بحر تفديني من الموت ولو كان الموت علما يستبق إليه لكنت أول من يسبق إليه إلا أن يسبقني رجل بفضل قوة قال أبو اليمان عن صفوان بن عمرو قال رأيت في جبهة خالد بن معدان أثر السجود قال إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان أنه كان يصفر لحيته قال وأجمعوا على أن خالد بن معدان توفي سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك أخبرنا يزيد بن هارون قال مات خالد بن معدان وهو صائم^(٣).

(١) معرفة علوم الحديث ص: ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) الطبقات الكبرى ج: ٧ ص: ٤٤٨ وهو من الطبقة الثانية من التابعين بالشام

(٣) الطبقات الكبرى ج: ٧ ص: ٤٥٥ وهو من الطبقة الثالثة.

الفصل الثاني: معالم العلمية لمدرسة الحديث في الشام

المبحث الأول: اختيارات أهل الشام العلمية

من المعلوم أن لكل منهج اختيارات خاصة به يقوم أصحاب ذلك المنهج باختيارها دون غيرها من الآراء واعتمادها علمياً وعملياً في نشاطهم العلمي، وهذه نماذج لاختيارات أهل الشام العلمية في الحديث:

رأي أهل الشام في السن التي يستحب أن سماع الحديث فيه:

قال السيوطي: "قال جماعة من العلماء يستحب أن يتدبّر بسماع الحديث بعد ثلاثين سنة وقيل بعد عشرين والصواب في هذه الأزمان التبكير به من حين يصح سماعه وبكتبه وتقييده حين يتأهل له ويختلف باختلاف الأشخاص ونقل القاضي عياض رحمه الله أن أهل الصنعة حددوا أول زمن يصح فيه السماع بخمس سنين وعلى هذا بعد ثلاثين سنة وعليه أهل الشام وقيل بعد عشرين سنة وعليه أهل الكوفة قيل لموسى بن إسحاق كيف لم تكتب عن أبي نعيم فقال كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب الحديث صغاراً حتى يستكملوا عشرين سنة وقال سفيان الثوري كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة وقال أبو عبد الله الزبيري من الشافعية يستحب كتب الحديث في العشرين لأنها مجتمعة العقل قال وأحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض أي الفقه والصواب في هذه الأزمان بعد أن صار الملحوظ إبقاء سلسلة الإسناد التبكير به أي بالسماع من حين يصح سماعه أي الصغير وبكتبه أي الحديث وتقييده وضبطه حين يتأهل له ويستعد و ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ولا ينحصر في سن مخصوص

ونقل القاضي عياض أن أهل الصنعة حددوا أول زمن يصح فيه السماع للصغير بخمس سنين ونسبه غيره للجمهور^(١).

قال ابن جماعة: "النوع الثالث عشر: الأفراد وهو قسمان أحدهما فرد عن جميع الرواة وقد تقدم تفصيله والثاني مفرد بالنسبة إلى جهة كقولهم تفرد به أهل مكة أو أهل الشام أو تفرد به فلان عن فلان أو أهل البصرة عن أهل الكوفة ولا يقتضي شيء من ذلك ضعفه إلا أن يزداد بتفرد أهل مكة تفرد واحد منهم فيكون كالقسم الأول"^(٢).

وقال: قال أبو عبد الله الزبيري يستحب كتب الحديث بعد عشرين سنة لأنها يجتمع العقل وقال موسى بن هارون أهل البصرة يكتبون لعشر سنين وأهل الكوفة لعشرين وأهل الشام لثلاثين والصواب في هذه الأزمان أن يبكر بإسماع الصغير من أول زمان يصح فيه سماعه لأن الملحوظ الآن إبقاء سلسلة الإسناد وأن يشتغل بكتب الحديث وتقييده من حين تأمله لذلك ولا ينحصر في سن مخصوص باختلاف ذلك باختلاف الأشخاص^(٣).

قال الخطيب البغدادي: "باب ما جاء في صحة سماع الصغير أخبرنا أبو بكر البرقاني أنا محمد بن الحسن السروي أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم ثنا علي بن الحسن الهسنجاني ثنا نعيم بن حماد قال سمعت ابن عيينة يقول لقد أتى هشام بن حسان عظيما بروايته عن الحسن قيل لنعيم لم قال لأنه كان صغيرا قل من كان يثبت الحديث على ما بلغنا في عصر التابعين وقريبا منه الا من جاوز حد البلوغ وصار في

(١) تدريب الراوي ج: ٢ ص: ٥

(٢) المنهل الروي ص: ٥١

(٣) المنهل الروي ص: ٨٠

عداد من يصلح لمجالسة العلماء ومذاكرتهم وسؤالهم وقيل ان أهل الكوفة لم يكن الواحد منهم يسمع الحديث الا بعد استكماله عشرين سنة ويشتغل قبل ذلك بحفظ القرآن وبالتعبد وقال قوم الحد في السماع خمس عشرة سنة وقال غيرهم ثلاث عشرة وقال جمهور العلماء يصح السماع لمن سنه دون ذلك وهذا هو عندنا الصواب أخبرنا محمد بن احمد بن رزق انا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي ثنا نعيم بن يعقوب قال سمعت أبا الأحوص يقول كان الشاب يتعبد عشرين سنة ثم يطلب الشيء من الحديث أخبرني أبو القاسم الأزهري ثنا أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن خشنام ثنا أبو عبد الله المحاملي ثنا يحيى بن محمد بن اعين قال سمعت أبا عاصم يقول سمعت الثوري يقول كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة أخبرنا احمد بن أبي جعفر القطيعي انا محمد بن عدى بن زحر البصري في كتابه ثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري قال سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث يقول قال ابن جريج لو كيع باكرت العلم وكان لو كيع ثمانى عشرة سنة أخبرني علي بن احمد بن علي المؤدب ثنا أحمد بن إسحاق النهاوندى انا الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي قال حدثني عدة من شيوخنا انه قيل لموسى بن إسحاق كيف لم تكتب عن أبي نعيم قال كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب الحديث صغارا حتى يستكملوا عشرين سنة قال ابن خلاد وحدثني محمد بن عبد الله قال سمعت أبا طالب بن نصر يقول سمعت موسى بن هارون يقول أهل البصرة يكتبون لعشر سنين وأهل الكوفة لعشرين وأهل الشام لثلاثين^(١).

(١) الكفاية في علم الرواية ص: ٥٤-٥٥.

المبحث الثاني: اهتمام العلماء بحديث أهل الشام

قال السيوطي: قال سليمان بن موسى إن جاءنا العلم من ناحية الجزيرة عن ميمون بن مهران قبلناه وإن جاءنا من البصرة عن الحسن البصري قبلناه وإن جاءنا من الحجاز عن الزهري قبلناه وإن جاءنا من الشام عن مكحول قبلناه، كان هؤلاء الأربعة علماء الناس زمانهم^(١).

وقال ابن مهدي أئمة الناس في الحديث في زمانهم أربعة: مالك بن أنس بالحجاز والأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالكوفة وحماد بن زيد بالبصرة^(٢).

ما ينفردون به من الحديث: قال السيوطي مستعرضاً لانفراد الأقاليم الإسلامية ببعض الروايات: "ولأهل اليمن روايات جيدة وطرق صحيحة إلا أنها قليلة ومرجعها إلى أهل الحجاز أيضاً ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم مع إكثارهم والكوفيون مثلهم في الكثرة غير أن رواياتهم كثيرة الدغل قليلة السلامة مع العلل.

وحديث الشاميين أكثره مراسيل ومقاطع وما اتصل منه مما أسنده الثقات فإنه صالح والغالب عليه ما يتعلق بالمواعظ^(٣).

ونقل عن أهل الحديث أنهم اتفقوا على أن أصح الأحاديث ما رواه أهل المدينة ثم أهل البصرة ثم أهل الشام^(٤).

(١) تدريب الراوي ج: ٢ ص: ٤٠١

(٢) تدريب الراوي ج: ٢ ص: ٤٠١

(٣) تدريب الراوي ج: ١ ص: ٨٥-٨٦

(٤) تدريب الراوي ج: ١ ص: ٨٥-٨٦

قال الحاكم النيسابوري: ومنه ما حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الإمام قال أخبرنا إسماعيل بن قتيبة قال حدثنا يحيى بن يحيى قال ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ألا إنه ستفتح عليكم أرض العجم أو قال الأعاجم وفيها بيوت تدعى الحمامات ألا وهن حرام على رجال أمتي إلا بأزر وعلى نساء أمتي إلا نفساء أو سقيمة قال الحاكم تفرد بذكر تحريم الحمامات على النساء أهل الشام بهذا الإسناد^(١).

قال الإمام محيي الدين النووي: "وقد رويت في الإرشاد هنا ثلاثة أحاديث بأسانيد كلهم دمشقيون مني إلى رسول الله ﷺ وأنا دمشقي حماها الله تعالى وسانها وسائر بلاد الإسلام وأهله"^(٢).

المسلسل بالدمشقيين:

روى الإمام مسلم في صحيحه ج: ٤ ص: ١٩٩٤

باب تحريم الظلم ٢٥٧٧ حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي حدثنا مروان يعني بن محمد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته

(١) معرفة علوم الحديث ص: ٩٨.

(٢) التقريب مع تدريب الراوي ج: ٢ ص: ٤٠٦.

فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه قال سعيد كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبته^(١).

قال المناوي: "ورواته دمشقيون، قال أحمد: ليس لأهل الشام حديث أشرف منه"^(٢).

ما ينفردون به من المراسيل:

قال الحاكم النيسابوري: ذكر النوع الثامن من علوم الحديث النوع الثامن من هذا العلم معرفة المراسيل المختلف في الاحتجاج بها وهذا نوع من علم الحديث صعب قل ما يهتدى إليه إلا المتبحر في هذا العلم فإن مشايخ الحديث لم يختلفوا في

(١) الحاكم في المستدرک علی الصحیحین: ٤/٢٦٩، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٩٣ وفي شعب الإيمان: ٥/٤٠٦، وابن أبي شيبة: في المصنف: ٧/٢٣٧، والبخاري في مسنده: ٩/٤٤٢، وينظر: جامع العلوم والحكم ١/٢٢١ و ١/٢٣١، وأبو الشيخ في العظمة: ٣/٨٣١، والبخاري في الأدب المفرد: ١/١٧٢، والمنذري في الترغيب والترهيب: ٢/٣١٢.

(٢) فيض القدير ج: ٤ ص: ٤٧٩.

أن الحديث المرسل هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي فيقول التابعي قال رسول الله ﷺ.

وأكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عن سعيد بن المسيب.

ومن أهل مكة عن عطاء بن أبي رباح.

ومن أهل مصر عن سعيد بن أبي هلال.

ومن أهل الشام عن مكحول الدمشقي.

ومن أهل البصرة عن الحسن بن أبي الحسن.

ومن أهل الكوفة عن إبراهيم بن يزيد النخعي.

وقد يروى الحديث بعد الحديث عن غيرهم من التابعين إلا أن الغلبة

لرواياتهم^(١).

(١) معرفة علوم الحديث ج: ١ ص: ٢٥

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة، تبين لنا ما يأتي:

١- نزل الشام كثير من الصحابة الأجلاء، منهم المقربون من النبي ﷺ ومن السابقين الأولين في الإسلام وممن شاركوا في الغزوات ومن بعده انتشروا في البلاد فاتحين ناشرين لدين الله ﷻ.

٢- انتشر حديث هؤلاء الصحابة وعلمهم عن طريق تلاميذهم الشاميين، وكان يرحل إليهم من مختلف البلاد الإسلامية لأخذ هذه الأحايث عنهم، وقد اختصوا بكثير من الروايات لم تؤخذ إلا عنهم.

٣- كانت لهم اختياراتهم العلمية المعتمدة من بقية العلماء في مختلف البلاد الإسلامية، ومثلت هذه الاختيارات نضج المدرسة الحديثية في الشام.